خاتمة الكتاب

الحَمْدُ للهِ في البَدْءِ، والحمدُ للهِ في الخِتَامِ، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمد خير الأنام، الذي أُنْزِلَ عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فاستنارت به القلوب، وانشرحت له الصدور، وانصلحت به الأحوال، وعلى آله الطيبين، وأصحابه خير الأصحاب، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بَعْدُ:

فقد وَصَلَتْ إلينا رسائل خير القرون على صفحات الصخور، تحكي لنا مشاعرَهم، وأذكارَهم، وتراتيلَهم، وتحياتِهم إلينا ودعواتِهم لنا، بعد أن كشفت أرض الحجاز عن مكنوناتها، وحفظت لنا صخورها رسائلهم، ولم نحتج لقراءتها إلى كبير عناء، ولا إلى استشارة الخبراء، فها هي معروضة بين أيدينا يقرؤها الصغير والكبير، ويلتذ بأفانين القول فيها كل من استنار قلبه بنور الإيمان، فاستمتع عقله بمضامين تلك النقوش الجميلة، ولقد جئتكم في هذا الكتاب ببعضٍ من أخبارها، وكَشَفْتُ لكم عن جانب من دلالاتها، وأرجو أن تستمتعوا بالنظر فيها كما استمتعت، فتبتهجَ بها نفوسكم، وترتاحَ إلى إشاراتها

عقولكم، وأن تنعقد بينها وبينكم أواصر المودة، فتسعوا في البحث عنها، والتمتع بمناظرها، إنها النقوش الإسلامية المبكرة بعامة، والنقوش القرآنية بخاصة.

وقد كتبتُ كتابي هذا للنظر في النقوش القرآنية المبكرة، التي كتبها أهل خير القرون، من الصحابة والتابعين وتابعيهم، لاستنطاق مضامينها، والوقوف على دلالتها التاريخية، وظواهرها الكتابية، من خلال تمهيد وستة فصول، عَرَّفْتُ في **التمهيد** بالنقوش وأهميتها، وبينت كيفية الإفادة منها، بالوقوف على خمسة عناصر تتصل بها، وهي: المكان، والزمان، والكاتب، والمضمون، وطريقة الكتابة.

وتحدَّثت في الفصل الأول عن تدوين القرآن الكريم، في عصر النبوة والخلافة الراشدة، ليكون القارئ على بينة من أن ما يجده من آيات كريمة منقوشة على الصخور قد تقدمته جهود عظيمة للصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في تلقي القرآن عن رسول الله ﷺ، وكتابته في الرقاع، وجَمْعِهِ في الصحف، ونَسْخِهِ في المصاحف، فَحُفِظَ نَصُّهُ في السطور، كما حُفِظَتْ آياته في الصدور.

وذكرتُ في الفصل الثاني مواقع النقوش القرآنية التي كانت موضوعًا لهذا الكتاب، وهي تمتد على رقعة جغرافية واسعة، من أرض الحجاز المباركة إلى أرض الشام، وأرض فلسطين والمسجد الأقصى المبارك، فَعَرَّفْتُ بتلك المواقع بما تيسر لي من مصادر ومعلومات، وإن كان الخبر لا يشفي الغليل كالمعاينة، وأشرت إلى ما عُثِرَ عليه فيها من نقوش إسلامية مبكرة، ترجع إلى القرنين الأول والثاني الهجريين.

وعَرَضْتُ في الفصل الثالث النقوش القرآنية المبكرة، ووصفتُ كل نقش منها، وذكرتُ مكان العثور عليه، وتاريخ كتابته، واسم كاتبه، وما تضمنه من الآيات الكريمة وغيرها، وأشرت إلى ما في كل نقش من ظواهر كتابية من

خلال الموازنة بينه وبين مصحف المدينة النبوية، وقد بلغت النقوش القرآنية حوالي ستين نقشًا، والآيات التي تضمنتها أكثر من ثمانين آية.

وبحثتُ في الفصل الرابع الدلالة التاريخية للنقوش القرآنية المبكرة، ولا شك في أن نفوس المؤمنين سوف تبتهج بالنظر في تلك النقوش المكتوبة قبل أكثر من ١٣٥٠ سنة، وتشعر بفضل الله علينا أن أكرمنا بحفظ القرآن الكريم، فوصل إلينا متواترًا، محفوظًا في الصدور، ومكتوبًا في السطور، وها هي الصخور الصلبة تحتفظ بذلك النص كما نقرؤه في مصاحفنا، ولكن بعض الدارسين من المستشرقين قد قرؤوا مضمون تلك النقوش قراءة أخرى، فنظروا إلى ما هو مكتوب بجانب هذه النقوش ومعها من عبارات دُعَائية على أنه من نص القرآن، وسَمَّوْهُ بقرآن الحجارة، وزعموا بأن هذا هو النص الأصلي للقرآن، بناء على نظريتهم القديمة المتهالكة بأن القرآن لم يُكْتَبْ إلا في القرن الثاني الهجري، لأنهم ينكرون رواية المصادر الإسلامية عن تدوين القرآن، ولكن بعض باحثيهم المنصفين رأوا في هذه النقوش دليلًا لِمَنْ يعوزه الدليل على أن المصحف قد اكتمل نصه، وتحددت معالمه قبل تاريخ كتابة هذه النقوش، وأنها تستمد من ذلك المصحف مادتها، وأن ما تضمنته بعض النقوش من عبارات قرآنية متداخلة بعبارات دُعَائية أخرى هو من باب الاقتباس والتضمين الذي اشتهر على ألسنة المسلمين وأقلامهم في تلك القرون.

وتناولت في الفصل الخامس الظواهر الكتابية في النقوش القرآنية المبكرة، وتتبعت خصائص الرسم العثماني فيها، ووازنتها بخصائص النقوش الإسلامية المبكرة الأخرى، لتتضح من خلال ذلك الإجابة على تساؤل بعض الدارسين وقارئي القرآن الكريم: هل اختص المصحف برسم يختلف عن الرسم الذي كان الصحابة والتابعون يكتبون به في ذلك العصر؟ وتأتي الإجابة من خلال

النقوش المكتوبة على الصخور، بأن الرسم في القبيلين واحد، وأن العربية لم تعرف في ذلك العصر إلا نظامًا كتابيًا واحدًا، وأن المصحف كُتِبَ بذلك الرسم الذي تعارف الناس على الكتابة به في جميع شؤونهم، وأن ظهور الرسم القياسي كان على يد علماء العربية بعد تدوين القرآن بقرنين من الزمان، ومن ثم لا يبقى للسؤال المتكرر: (هل رَسْمُ المصحف توقيفي أم اصطلاحي) مجالٌ عند البحث في تاريخ المصحف ورسمه!

وللرسم في النقوش القرآنية المبكرة دلالة أخرى على الإعجام في حروف الكتابة العربية، فقد جاءت نقوش قبة الصخرة المكتوبة سنة ٧٢هـ منقوطة الحروف، وظهرت تلك النقاط في نقوش عربية مبكرة ترجع إلى سنة ٥٨هـ، و٦٤هـ، وربما إلى أقدم من ذلك، وقد استوجب ذلك مناقشة موضوع الإعجام في الكتابة العربية، وموازنة دلالة النقوش بدلالة الروايات التاريخية، ومحاولة التوفيق بين هذه وتلك، للخروج بتصور واضح عن هذا الجانب من تاريخ الكتابة العربية.

وللنقوش القرآنية دلالة أخرى تتعلق بنوع الخط الذي كُتِبَتْ به، وتصنيفه ضمن أنواع الخطوط العربية المعروفة، وكان ذلك موضوع **الفصل السادس**، وكانت تصورات الباحثين عن الخطوط العربية المبكرة غير واضحة، بسبب فقدان الوثائق القديمة المتعلقة بالموضوع، وبسبب التصورات غير الدقيقة المبنية على الحدس والتخمين، فقد غلب إطلاق مصطلح الخط الكوفي على جميع النصوص التي ترجع إلى القرون الهجرية الأولى، سواء كان ذلك في النقوش أو المصاحف، لكن النقوش القرآنية المبكرة، والنقوش الأخرى، قد بَيَّنَتْ أن الخط المستعمل في كتابتها هو خط قد يكون أقدم من الخط الكوفي، وقد يكون أصلًا للخط الكوفي، وهو الخط الذي سماه بعض الباحثين في

العصر الحديث بالخط الحجازي، ونُفَضِّلُ أن نطلق عليه الخط المدني، الذي عُثِرَ على آلاف النقوش مكتوبة به حول المدينة المنورة وباديتها، وانتشر هذا الخط مع المصاحف العثمانية إلى الأمصار الإسلامية الكبرى قبل منتصف القرن الهجري الأول، وصارت تلك المصاحف نماذج يقتدي بها الخطاطون ويتعلمون منها خصائص الخط الذي يستعملونه في كتابة المصاحف وغيرها، قبل أن يتفنن الخطاطون في تطوير الخطوط في أواخر العصر الأموي وفي العصر العباسي.

تلك هي أهم معالم هذا الكتاب، وفصوله التي يتكون منها، ونتائجه التي تمخض عنها، وبقيت في النفس آمالٌ أرجو أن تتحقق، وأحلامٌ عسى أن تتحول إلى حقائق، **ويمكن تلخيصها في النقاط الآتية:**

١- **توثيق النقوش المكتشفة**، وبخاصة في بلاد الحجاز، وإصدار موسوعة خاصة بها، تتضمن صورًا حديثة لها، وتعريفًا بمواقعها، لينهل منها الدارسون، بحسب اختصاص كل واحد منهم، وليستمتع بها من ليسوا من الباحثين من جمهور قراء العربية، فبقاؤها متناثرة على صفحات وسائل التواصل الاجتماعي يحول دون الإفادة منها الفائدة المرجوة، وقد يجد الباحثون صعوبة في الوصول إليها، ويؤكد ذلك أن ما وُثِّقَ من نقوش وصدر في بحوث ودراسات كان الرجوع إليها أسهل، والإفادة منها أكثر، لكن تلك البحوث والدراسات تفتقر إلى الصور الحديثة التي تساعد على قراءة تلك النقوش قراءة دقيقة.

٢- **إطلاق المؤسسات العلمية** المعنية حملة لمسح المواقع الأثرية وطرق القوافل القديمة، والمنتجعات ومواقع المياه والآبار في البوادي، في الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق، لتوثيق ما فيها من النقوش الكتابية، باستعمال

وسائق التوثيق الحديثة، ووسائل التنقل السريعة، لِمَا لهذه النقوش من قيمة تاريخية وحضارية، ينبغي عدم إهمالها والتفريط بها، وعلى الرغم من الجهود الطيبة للأفراد في هذا المجال فإن عمل المؤسسات أكثر فائدة، وأقوى عائدة.

٣- **العناية بالنقوش العربية** الكتابية المبكرة المكتشفة، والتي سيكشف عنها، والحفاظ عليها، وتشجيع البحوث العلمية الخاصة بها، والتي تتعلق بجانب الخط، واللغة، والتاريخ، فلا يخفى عليكم ما للنقوش من دلالات متعددة، غفلنا عنها دهرًا طويلًا، وحان وقت الاستدراك، بعد أن كُشِفَ عن الآلاف منها.

٤- **وأخيرًا** أدعو المهتمين بالنقوش أن يحرصوا على الخروج إلى مواقعها، والنظر إليها، واكتشاف دقائقها، ولمس طريقة كتابتها بالحفر الغائر على الصخور، أو بالحك السطحي على صفحاتها، واستنشاق عبق التاريخ من جوارها، فإن لذلك متعة لا يدركها إلا من عايشها.

٥- **وأُقَدِّمُ التحية والشكر** للرواد الذين استكشفوا تلك النقوش، ولا يزالون يخرجون إلى الوادي والجبال يبحثون عنها، ويتحملون المخاطر والمشاق، وأُحَيِّي أيضًا الباحثين الذين اجتهدوا في دراسة تلك النقوش، وقَدَّمُوا لنا خلاصة أبحاثهم.

وفي الختام أحمد الله تعالى الذي يَسَّرَ وأعان
على إتمام هذا الكتاب
أسأله تعالى القبول، والعفو عن التقصير
اللهم آمين